رسائل الزهاوى [1]

حضرة الأستاذ

بعد التحية والاحترام أشكر لك حسن ظنك بى أما ميلادى من حيث الزمان والمكان فتراه فى ترجمة حياتى ، وكان عدد سكان بغداد فى العهد الذى ولدت فيه مائتى ألف نسمة تقريباً وحالتها الاجتماعية يومئذ منحطة ولا غاية لأكثر رجالها إلا التزلف إلى الحكام الأتراك وولاتهم ولا منافسة إلا فى الرتب والألقاب .

واليوم قد بلغ عدد سكانها ٣٥٠٠٠٠ الفاً على وجه التقريب والأخلاق بعد الاحتلال آخذة فى التقهقر والأزمة الحالية شديدة وقد منعنى الكبر والمرض أن أبسط لك المقال فى عادات القوم وتقاليدهم وآمالهم وآلامهم وما تستحقه من إصلاح وتجديد .

واما حالة العراق العامة أيام مولدى فكان فى رخاء على الأكثر غير أن الجهل كان يسود أكثر أهله ولم تكن فيه يومئذ مدارس للذكور ولا للإناث إلا الكتاتيب وإلا المدارس القديمة الدينية وكان التعصب شديدا .

وقد بنيت الأدب على أنقاض عبد الباقى العمرى والأخرس وكلاهما من الشعراء الوزّانين المقلدين فلا جزالة فى ألفاظهما ولا ابتكار فى معانيهما واذكر أن شاعريتى بدأت وأنا ابن ١٥ سنة ومن أوائل شعرى .

أما آن أن نأبى على الوطن العارا فنركب أخطارا ونقضى أوطارا

ولك أن تنشر ترجمتى فيما تشاء من الصحف على أن تهدى إلى نسخة منها وعليك لسلامى .

فى ٨ أيلول سنة ١٩٣٢ جميل صدقى الزهاوى

---

(١) الكاتب المصرى عدد ١٥ (ديسمبر ١٩٤٦) .

ترجمة حيـــاتى ملخصة

ولدت فى بغداد من أبوين كرديين فى يوم الأربعاء ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ أما أبى فهو مفتى العراق محمد فيضى الزهاوى الكبير ويرجع نسبه إلى امراء السليمانية (البابان) وهئولاء ينتمون فى نسبهم إلى خالد بن الوليد . وشهرة والدى بالزهاوى هى لأن أباه (جـدى) احمد بك هاجر إلى « زهاو » (بلدة ملحقة فى يومنا هذا بايران) وسكنها سنين وتزوج فيهـا بسيدة زهاوية فولدت له أبى فلما رجع إلى السليمانية مع نجله (أبى) اشتهر أبى بالزهاوى .

وأما أمى فاسمها « بيروز » وهى سيدة عصبية المزاج من أسرة كردية وجيهة (ولعلى ورثت العصبية منها) وكنت فى صباى أدعى بالمجنون لحركاتى غير المألوفة وفى شبابى بالطائش لخفتى وإيغالى فى اللهو وفى كهولتى بالجريء لمقاومتى الاستبداد وفى شيخوختى بالزنديق لمجاهرتى بآرائى الحرة الفلسفية المخالفة لآراء الجمهور .

تعلمت كثيراً من علوم الأولين فلم تشبع عقلى وكثيرا من علوم الغربيين فيما ترجم إلى التركية والعربية على اساتذة خصوصيين فولعت بها ودأبت على المطالعة وتوسعت فيهـا وكان أول نظمى بالفارسية ثم بالعربية ونشرت لى المجلات والصحف فى مصر وبيروت والشام وبغداد مقالات كثيرة وقصائد ثائرة وأنا أول من دافع عن المرأة فى العراق وأول من قاوم الاستبداد فى عهد السلطان عبد الحميد وأول من نظم القصائد القصصية وأول من تمرد على القديم وعنى بالتجديد وقاوم التعصب .

ولم أتعلم لسوء الحظ لغة غربية وقد تزوجت فى سن الثلاثين بالآنسة زكية هانم وعمرها يومئذ ١٦ سنة وهى من بيت تركى شريف ولم يولد لنا ولد وقد خدمتنى فى شيخوختى باخلاص وأمانة .

وعينتنى الحـكومة التركية فى أول شبابى عضوا فى مجلس المعارف ببغداد ثم مديرا لمطبعة الولاية ومحررا للقسم العربى من جريدتها الرسمية (الزوراء) ثم عضوا فى محكمة الإستئناف وسافرت بعد سنوات إلى مصر فمكثت فيها أسبوعا ثم أبحرت إلى اسلامبول عاصمة البلاد العثمانية يومئذ .

وبعد سنة أرسلتنى الحـكومة بارادة سلطانية إلى اليمن واعظاً عاماً وعضوا

فى الجمعية الاصلاحية وبقيت فيها ٩ أشهر ثم دعيت إلى العاصمة بارادة سنية واجتمعت فى هذه المرة بالترك الأحرار وجاهرت بالسخط على نظام الحكم يومئذ ونظمت فى ذلك عدة قصائد نشرت فى جرائد مصر بتوقيع مستعار وأصبحت معقبا بالجواسيس وكانت النهاية أن أبعدنى السلطان إلى بلادى براتب شهرى قدره ١٥ جنيه .

وأكثر شعرى الذى كنت نظمته قبل الدستور العثمانى نشر فى ديوانى الأول « الكلم المنظوم » ولما أعلن الدستور العثمانى عدت إلى العاصمة فعينتنى الحكومة الدستورية أستاذاً للفلسفة الإسلامية وأستاذاً للآداب العربية فى جامعتها وقد نشرت دروسى التى كنت القيها فى الفلسفة بمجموعة دار الفنون باللغة التركية . ثم اشتد بى المرض فألجأنى إلى الرجوع إلى بغداد أستاذاً للقانون المدنى فى كلية الحقوق .

وفى ولاية ناظم باشا كانت جريدة « المؤيد » فى مصر قد نشرت لى مقالة أدافع فيها عن حقوق المرأة فقامت حول هذه المقالة ضجة كبيرة وأخذ المتعصبون يرغون ويزبدون ويقذفوننى بالسب واللعن .

والمهذبون من الكتاب فى مصر وسورية يناصروننى ولكن التعصب فى بغداد كان يومئذ ذا صولة فلم يسع الوالى غير عزلى من وظيفتى إرضاء للرأى العام ثم جاء جمال باشا والياً عوضاً عن ناظم باشا فارجعنى إلى وظيفتى .

ثم انتخبت نائبا عن لواء المنتفق فى البرلمان العثمانى فحضرت جلساته فى اسلامبول ثم انفسخ المجلس فعدت إلى بغداد وانتخبتُ من بغداد نائبا عنها فذهبت إليها ثانية وألقيت الخطب أدافع عن حقوق العراق وعن الحق وقامت حولى الضجات فلم أبال ثم بعد سنتين أو ثلاثة وقعت الواقعة وأعلنت الحرب العظمى واحتلت الجنود الانكليزية بغداد وأرادت أن تأخذنى إلى الهند أسيرا ولكننى أبرزت ورقة فيها صراحة بانى مكاتب لجريدة المقطم المصرية (وكانت هذه الجريدة موالية للانكليز) فأفرجوا عنى .

وعينتُ فى عهد الاحتلال عضواً فى اللجنة التى تدير أمور المعارف ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين التركية فعربت ١٧ قانونا بين صغير وكبير ثم ألغيت اللجنة وجاء جلالة الملك فيصل الأول المعظم وتوج ملكا على العراق واحتفل به فى بغداد احتفالات باهرة كنت المغرد فيها .

ثم هاجرتُ إلى سورية فمصر وأقيمت لى فى الشام وبيروت ومصر عدة حفلات ونشرت لى فى الشام وبيروت ست قصائد وفى مصر أكثر من ثلاثين قصيدة وبعد أن أعلن الدستور فى العراق رجعت إليه فعينني جلاله الملك عضواً فى مجلس الشيوخ ثم بعد ٤ سنوات خرجت من المجلس بالاقتراع الذى كان قد نص عليه الدستور العراقى .

ثم تمت المعاهدة بين الحكومة العراقية وبريطانيا العظمى وكانت يومئذ تنشر لى « السياسة الأسبوعية » (مجلة كانت تنشر فى مصر) كل أسبوع قصيدةً فعطلتها حكومة مصر وقد بلغتُ السبعين من عمرى وبان على الهرم وشُلت أصابع قدمى اليسرى منذ أكثر من عشرين سنة وما زالت الأوجاع العصبية تنتابنى وتبرح بى .

وأما مؤلفاتى فأولها رسالة باسم « الكائنات » فى الفلسفة أبديت فيها آرائى الحرة فى المكان والزمان والقوة والمادة والحياة والجاذبية وقد طبعت فى مطبعة المقتطف بمصر ونفدت نسخها . والثانى رسالة فى سباق الخيل أودعتها تجاربى الخاصة فى ركض الخيل وقد طبعت فى مجلة الهلال بمصر . والثالث رسالة فى « الخط الجديد » نشرها المقتطف بمصر ثم فى شكل رسالة وقد نفدت نسخها وهذا الخط لايشبه الخط العربى ولا الحروف اللاتينية ويقدر أن يتعلمه التلميذ فى أسبوع وهو جميل ويكتب متصلا من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ويطبع مقطعاً وفيه تسهيل للطباعة فإن كل حرف منه إذا قلب كان حرفا آخر من الحروف الأبجدية فقام كل حرف بوظيفة حرفين وتعلم ما فى ذلك من الاقتصاد ويمكن لهذا الخط أن يتخذ خطاً عاما لجميع اللغات . والرابع هو دروسى الفلسفية التى كنت ألقيها على تلاميذى فى جامعة الآستانة . والخامس ديوانى « الكلمُ المنظوم » وقد نشر فى بيروت بأول سنة للدستور العثمانى ونفدت نسخه . والسادس هو « الفجر الصادق » فى الرد على الوهابية وقد طبع فى مصر قبل الدستور العثمانى ونفدت نسخه . والسابع رسالة « الجاذبية وتعليلها » وقد طبعت فى بغداد بعد رجوعى إليها أستاذاً فى كلية الحقوق . والثامن هو ديوانى الذى طبع بمصر باسم « ديوان الزهاوى » . والتاسع هو « المجمل مما أرى » رسالة فلسفية أودعتها آرائى التى خالفت فيها علماء عصرى وبسطت فيها الناموس الدورى العام وعللت الجاذبية العامة بالدفع العام للأثير

الجارى إلى المادة طلباً للموازنة وقد طبعت بمصر قبل ثمانى سنوات . والعاشر رسالة فى لعبة الداما تحتوى على ١٥٠٠ لعبة ٥٠٠ منها لأصحابها و١٠٠٠ من مستنبطاتى وهذه لم تطبع بعد . والحادى عشر ديوان رباعياتى وقد طبع فى بيروت قبل ثمانى سنوات طبعاً رديئاً مغلوطاً فيه . والثانى عشر ديوانى الذى طبع ببغداد قبل ٤ سنوات باسم « اللباب » وأضفت إليه ١٨٠٠ رباعية من رباعياتى منقحة صحيحة وكثيراً من قصائدى المنشورة فى « ديوان الزهاوى » منقحة وما نظمته من القصائد بعده . والثالث عشر « ترجمة رباعيات الخيام » وقد ترجمتها رأساً من الفارسية نثراً ونظماً بعد إثبات الأصل الفارسى فى الصدر وهى ١٣٠ رباعية . والرابع عشر رواية تمثيلية باسم « ليلى وسمير » طبعت فى بغداد قبل سنتين ونفدت نسخها . والخامس عشر رسالة فى تسهيل القواعد العربية لم تنشر بعد . والسادس عشر هو مانظمته بعد قصائد « اللباب » باسم « الأوشال » وقد نشرت قصائده فى مجلات مصر وصحفها والشام وبيروت وبغداد ولم تنشر بعد فى شكل ديوان .

والسابع عشر هو « نزغات الشيطان » وقصائد هذا الديوان لم تنشر بعد فى المجلات والجرائد وسوف تنشر بعد موتى لأنها تصادم آراء المتعصبين وتثيرهم علىَّ إثارة لا أحمد عقباها ، والثامن عشر هى قصيدتى «ثورة فى الجحيم» وعدد أبياتها ٤٣٣ وقد نشرت فى العام الماضى فى مجلة الدهور وكانت يومئذ تصدر فى بيروت . وقد قامت حولها ضجة كبيرة ، وقد سبنى بسببها بعض المتعصبين على المنابر فى خطبة صلاة الجمعة ونفدت بعد قليل من الزمن نسخها ، وفيما يلى فهرس مندرجاتها :

١ — منكر ونكير فى قبر الميت ووصف دقيق لهما .
٢ — حوار بين أحد الملكين والميت يحتوى على سئلة كثيرة ، والميت يجامل فى أجوبته .
٣ — مصارحة الميت .
٤ — وصف الصراط .
٥ — السؤال عن الملائكة والشياطين والجن وأجوبة الميت .
٦ — السؤال عن السفور والحجاب وجواب الميت .

٧ — السؤال عن الله وجواب الميت .
٨ — إلقاء الحجة .
٩ — الله هو الأثير والاختلاف فى الإسم .
١٠ — امتناع الميت عن الإفاضة فى الجواب .
١١ — أتركانى ولا تزعجانى .
١٢ — تقريع الميت للملكين .
١٣ — الإلحاف فى السؤال .
١٤ — الحوار الأخير .
١٥ — عذاب القبر .
١٦ — أخذ الميت إلى الجنة ليرى ما حرمه ثم وصف دقيق لها .
١٧ — قذف الميت فى الجحيم ووصف مافيها من العذاب .
١٨ — حوار بين الميت وليلى فى الجحيم (ليلى فتاة فرقوا فى الجحيم بينهاوبين حبيبها) .
١٩ — الشعراء فى الجحيم .
٢٠ — عمر الخيام يتغنى فى الجحيم بالخمرة .
٢١ — سقراط يلقى محاضرة على الحكماء فى الجحيم .
٢٢ — منصور الحلاج فى الجحيم يعاتب الله .
٢٣ — اختراع أحد أهل الجحيم آلة تطفئ السعير .
٢٤ — خطبة أحد شباب الجحيم يحدث بها ثورة عامة .
٢٥ — المعرى ينشد نشيد الثورة ويردد له الجمهور .
٢٦ — الحرب بين الزبانية (حفظة الجحيم) وأهل الجحيم .
٢٧ — انجاد الشياطين فى قيادة إبليس لأهل الجحيم وانتصار الملائكة فى قيادة عزرائيل للزبانية والحرب الهائلة بينهما ، ووصف هذه الحرب وانهزام جيش الملائكة وإطفاء الجحيم .
٢٨ — احتلال أهل الجحيم للجنة طائرين إليها على ظهور الشياطين .
٢٩ — طرد أهل الجحيم بعد احتلال الجنة اليه منها .
٣٠ — الخاتمة .

بغداد فى ٨ ايلول سنة ٩٣٢ — جميل صدقى الزهاوى

☆

صديقى الأستاذ الجليل

وصل إلى كتابك الكريم وقد كلفتم فيه شيخا همّا مثلى قد نهكته السنون وشلت رجله الأمراض مالا طاقة له به فهو مشغول بآلامه عن مثل هذه المطالب.

وقد أرسلت إليك عددا من « الأوشال » وعددا من ترجمة رباعيات الخيام وعددا من رباعياتى على أن هذا الديوان مملوء بالأغلاط فلا تعتمد عليه واكتف من رباعياتى بما فى اللباب والأوشال أما « الكلم المنظوم » و « الفجر الصادق » و « الكائنات » فقد نفدت نسخها ولعلك واجد كتاب الكائنات فى القاهرة فإنه طبع فى وقته بمطبعة المقتطف. وأما محاضراتى الفلسفية التى كنت ألقيها بالتركية على تلامذتى فى جامعة الآستانة فقد كانت تطبع فى مجموعة دار الفنون تباعاً فمن أين أجدها اليوم لك وقد انقطعت صلتى بها منذ سنين طويلة. وأما ديوان العمرى والأخرس فأنا عاجز عن الحصول عليهما وأما النزاع بينى وبين الأستاذ الرصافى فليس اليوم كما يكبره المرجفون فكثيرا ما نتلاقى كصديقين.

أما ما كتبه المستشرفون عن الأوشال فكثير غير أنى لا أحفظ العبارات وقد كتب إلىّ أمين مكتبة الفاتيكان الكبرى قائلا ما خلاصته « إن ما يحتوى عليه الأوشال هو أروع ما قرأناه من الشعر العربى العصرى » وقال لى أحد أصحابى إن مجلة من أهم مجلات لندن الإنكليزية نشرت مقالة مفصلة فى تقريظ الأوشال غير أنى لم أحصل عليه.

وأما كتاب المستشرق الكبير الدكتور ودمر الألمانى فى ترجمة حياتى فهو تحت الطبع على حساب أديب ألمانى آخر وقد ترجم الدكتور ودمر فى كتابه هذا قصيدة « ثورة فى الجحيم » وخمسين قصيدة من « اللباب » و ٥٣ رباعية إلى الألمانية وعدد صفحات كتابه أكثر من ٣٠٠ وسيتم طبعه فى الخريف الآتى.

وقد جاءتنى قصاصة من برلين تحتوى على مقالة لأحد دكاترة الألمان يذكر فيها مقابلته لى فى بغداد ويكبرنى إلى درجة لا أستحقها وجاءت مجلة ألمانية تصدر فى برلين فيها مقالة فى ٨ صفحات تشرح المواضيع التى يحتوى عليها كتاب « ودمر » فىّ.

هذا وإذا أردت الحصول على ديوانى العمرى والأخرس وغيرهما فلك أن تراجع رأساً صاحب المكتبة العصرية ببغداد الكتبى الشهير محمود حلمى فهو قد يستطيع أن يجدهما لك ويرسلهما إليك بسعرهما الحقيقى وعليك سلامى .

جميل صدقى الزهاوى

بغداد فى ٧ تموز سنة ١٩٣٥

وصل إلى الآن الجزء الأول من كتاب الدكتور ودمر فى والظاهر أنه ترجم قصيدة « ثورة فى الجحيم » بالشعر الألمانى وقد طبع الكتاب على نفقة مستشرق روسى كبير وسيأتينى الجزء الثانى .

الزهاوى